ملحق رقم ٣
محضر نقاش الدكتور عبدالفتاح القاضى(*)
أجريت المناقشة بالقاهرة يوم ١٩٦٨/٩/٢١

س: كيف تأسس الحزب؟

ج: الذى أعلمه عن حسنى العرابى أنه كان يتاجر بالقطن والتقى خلال علاقاته بالتجار الأجانب بجندى إنجليزى عضو فى حزب العمال.. أقنعه بالفكر الاشتراكى.. وبعدها التقى حسنى بسلامة موسى.. ومحمود عزمى وعزيز ميرهم وشيخ (نسيت اسمه) كان إماما فى مسجد برلين (وأذكر أن هذا الشيخ قد ضم كثيرين من الطلبة المصريين فى ألمانيا إلى حزب الوفد، فهو قد قسم الجمعية المصرية فى برلين إلى قسمين: قسم وفدى.. وتركنا نحن فى الحزب الوطنى).

وبعد أن تحولت حركة ١٩١٩ إلى حركة مطالبات اقتصادية وبرزت إضرابات عمال الترام وعمال النسيج تطورت المطالبة الوطنية إلى حركة اقتصادية.. فاعتلى الموجة هؤلاء الأربعة مكونين الحزب الاشتراكى. وقد بلغ الحزب من القوة، أنه اعتد بنفسه ونظم الإضراب الشهير واحتل المصانع..

وفى سنة ١٩٢٣ أو حوالى ذلك لا أذكر بالضبط عقد مؤتمر الكومنترن فى موسكو، وسافر حسنى العرابى لحضوره فى هذا الاجتماع، صدر القرار الذى يدعو أحزاب

الاشتراكية الحقيقية إلى أن تسمى نفسها بالحزب الشيوعى، وجاء حسنى العرابى ورفع لافتة الحزب الاشتراكى ووضع مكانها لافتة الحزب الشيوعى.

وطبعا سعد زغلول أصدر سنة ٢٤ قانون مكافحة الحركات الشيوعية.

وأثناء زيارة حسنى العرابى لموسكو طلب منه إرسال مجموعة من العمال الشيوعيين للدراسة فأرسل عددا، منهم: د.حسونة «طبيب أسنان»، شعبان حافظ، عبدالرحمن فضل و«محمد عبدالعزيز» (الجاسوس) وكان يأتى موفدون من الكومنترن ولكن بكل أسف كان أغلبهم من اليهود.

وفى سنة ١٩٣٠ وبعد عودتى من ألمانيا اتصل بى عصام الدين حفنى ناصف وعرفنى بحسنى العرابى وكانت عندى ميول اشتراكية.. وكنت اتهمت بالشيوعية سنة ١٩٢٥ بسبب هذه الميول.. وفى هذه السنة أصدرنا جريدة «روح العصر».. صدر منها حوالى ٢٤ عددا وثمة نسخ منها موجوده بدار الكتب وكنا نحن الثلاثة مسئولين عنها (أنا وحسنى وعصام) وكانت تناصرها النقابات القائمة.. برغم تزعُّم عباس حليم للحركة النقابية، وكان يرأس الوزارة إسماعيل صدقى وكانت الصحيفة علنية واشتراكية وسياسية واجتماعية.

ولما لم يجد إسماعيل صدقى وسيلة قانونية لتعطيلها عطلها بقرار من مجلس الوزراء.

(أوقفت الجلسة الساعة السابعة وعشر دقائق بسبب إصابة الدكتور القاضى بأزمة قلبية).

المحضر الثانى ١٩٦٨/٩/٢٣

قال الدكتور عبدالفتاح القاضى: أود أن أبدأ من جديد لأننى تذكرت بعض المعلومات المهمة:

الحقيقة أن أول حركة اشتراكية ظهرت فى مصر كانت سنة ١٩٦٨ فى الإسكندرية بنشوء نقابة الكونترجية (عمال الأحذية) وكانت مكونة من الأرمن والأروام (وقد قال لى هذه المعلومات الشيوعى القديم ياناكاكس، وكانت الحركة المصرية «ح.م» قد كلفتنى سنة ١٩٤٢ بكتابة تاريخ الحركة الاشتراكية فاتصلت به وأبلغنى هذه المعلومات، وقد كتبت فعلا موجزا لهذا التاريخ وسلمته للمسئولين فى «ح.م» ولا أذكر إذا كان قد قال لى: إذا كان هناك مصريون فى هذه النقابة أم لا).

وأنا أريد أن أربط بين ذلك النشاط وبين بداية نشاط لينين فى روسيا فى ذلك الحين.. أريد أن أربط بين هذه الحركة فى مصر.. وبين الحركة فى روسيا .

صحيح لم يكن هناك روابط مباشرة، لكن أريد أن ألاحظ أيضا أن تولستوى عندما مات سنة ١٩٠٦ رثاه شوقى رغم أن شوقى كانت ثقافته فرنسية وأنه كان شاعرا رجعيا.. إن من يرثى تولستوى لا بد أن يكون قد أطلع على بعض تراثه الفكرى، ثم لماذا لا نربط بين ثورة الفلاحين الروس ١٩٠٥ وثورة الفلاحين المصريين فى دنشواى ١٩٠٦.

بعد ذلك كانت الخطوة الاشتراكية الثانية خطوة عمر لطفى على أساس الدعوة داخل الحزب الوطنى.. عمر لطفى كان يمثل الجناح اليسارى فى الحزب الوطنى..

أدرك هذا الجناح أن الاعتماد على طلبة المدارس العليا لا يكفى، ولهذا بدأ الاهتمام بالعمال والنقابات.. ولم يكن من الممكن أن يتم ذلك بمعزل عن الحركة الاشتراكية الديمقراطية العالمية، فمصطفى كامل ومحمد فريد كانا يسافران إلى الخارج ويتصلان بالحركة الاشتراكية الأوروبية؛ وخاصة محمد فريد.

كذلك ثورة أكتوبر ١٩١٧ أثرت علينا فى ثورة ١٩١٩ ولا تنس من مبادئ حق تقرير المصير التى رددها لينين.. أخذها نلسون ليرددها فى مؤتمر باريس.. ليكسب الشعوب إلى صف الرأسمالية..

بعد ذلك أريد أن أنتقل إلى موضوع الجلسة السابقة..

أريد أولا أن أحاول تقييم حسنى العرابى.. هو رجل كويس.. هو دوره كدور بليخانوف لم يكتف بممارسة دراسة الماركسية على يد الجندى الإنجليزى، وإنما حاول أن يكون نفسه نظريا.. وترجم كتاب رامزى ماكدونالد عن الاشتراكية لكن حسنى العرابى كان قلبه طيبا ويخدع بسهولة، وكان لا يحسن اختيار الأشخاص وخاصة الذين أرسلهم إلى موسكو للدراسة فقد أرسل مثلا محمد عبدالعزيز وهو الذى اختاره.. وأنا قرأت مذكرات محمد عبدالعزيز عند محام اسمه حنفى عبود، كل مذكراته خيانة حتى وهو فى الاتحاد السوفيتى.. فعندما كان فى روسيا كان يخون، وهو يذكر ذلك صراحة فى مذكراته، وكانت مكتوبة بخط اليد فى حوالى خمس كراسات وعندما كان فى روسيا أرسل مثلا إلى مسلمى الاتحاد السوفيتى لإقناعهم بالاشتراكية، فكان يحرضهم ضد النظام الاشتراكى وأورد فى مذكراته أيضا سلسلة خياناته وتسليمه لكل المندوبين الذين أتوا إلى مصر.

وقد أختار أيضا حسونة وهو شخص نشيط، وينجز أعمالا كثيرة وقد عمل معنا كثيرا فى الأربعينات فى الطبع السرى.. لكنه كان ماديا.. «من بتوع الثلاث ورقات» وكان أحسن

من أختار شعبان حافظ وعبدالرحمن فضل.. ولكن فضل «لعبى» وشعبان حافظ كان أحسنهم وكان عنوانا صحيحا جدا للعامل المصرى.

وقد استفاد جيدا من مدرسة الكادر فى الاتحاد السوفيتى، وبرزت كفاءته فى العمل السرى وفى تكوين الخلايا وفى الاتصالات فى العمل الجماهيرى وفى كل المجالات.

أما أنا فأنا فكنت أدرس فى ألمانيا وكنت قد قررت أن أقل من اتصالى بالمصريين حتى أتعلم الألمانية بسرعة، وجاء حظى أثناء دراستى لكورس اللغة الألمانية قبل بدء الدراسة الجامعية فى يناير ١٩٢٠ مع عدد من البلقانيين.. وخاصة البلغار منهم، مثلا الزميلة بوبوفا وكنا نذاكر سويا وفى الكلية استمرت المذاكرة سويا، وخاصة مادة التشريح لأنهم يعرفون لاتينى أكثر منى وبوبوفا والبلغار الآخرون عرفونى بجماعة من الروس منهم لاديفسكى.. كانوا فى كلية أخرى وأنا كنت فى ذلك العهد وطنيا متطرفا، وكل همى هو أن أطعن فى الإنجليز، وإن كانت تسيطر علىَّ فكرة الطبقات، وكنت متدينا أيضا فكانت تنشب مناقشات حادة حول الفكرة الماركسية وحول تأييد نضال الطبقة العاملة العالمية، وأنا كنت خالى البال تماما عن فكرة الاممية، كنت وطنيا أؤمن بمصطفى كامل ومحمد فريد.. لم أكن أحب الوفد لأنه يسعى للمفاوضة والمفاوضة تؤدى إلى التسليم.

ومع مضى الوقت ابتدأت هذه الأفكار تختمر فى عقلى، واقتربت من الاشتراكية أكثر فأكثر عن طريق الأدب..

فى شتاء ١٩٢٣ انتقلت إلى جامعة فرايبورج - لا أذكر أن ذلك كان فى شتاء ١٩٢١.. وهناك تعرفت بممثلة قديمة اسمها «فراو هيلدا باناداكا» جعلتنى أهتم بالأدب، وكانت تقيم ندوة أدبية فعرفتنى بأدب إبسن ومكسيم جوركى وجيرك هوفمان وأناتول فرانس. وهكذا اتجهت إلى الأدب..

وعن طريق القصص الاشتراكية ابتدأت أقتنع بالاشتراكية، وبعد ذلك بدأت الاطلاع على النظرية الاشتراكية وساعدنى على ذلك أننى درست فى الجامعة كورس اقتصاد، وكان أستاذ الاقتصاد فى جامعة فرايبورج له كتاب هام اسمه الرأسمالية والاشتراكية والفوضوية.

وقرأت هذا الكتاب..

المهم أننى أصبحت اشتراكيا فكرا، لكن لم يكن لى نشاط وعندما رجعت إلى برلين سنة ١٩٢٣ لأكمل دراستى اتهمتنى القنصلية المصرية بأننى لى علاقة متطرفة مع ذوى

المبادئ الهدامة، ولم يكن هذا صحيحا فأنا لم أقابل المصريين كثيرا إلا أنى استمررت عضوا فى لجنة الحزب الوطنى إلى أن عدت سنة ١٩٢٥ إلى مصر.. ومن ١٩٢٥ حتى ١٩٣٠ لم تكن لى علاقة بالحزب.

وعملت كطبيب أطفال وأحسست بحقيقة الفقر وبشاعته، كنت أقول للأم اشترى دواء لطفلك أو غذاء لطفلك وأشعر أنها لا تملك قرشا، اقتنعت أنه لا فائدة من الطب ولا فائدة من أى مجهود يبذل إلا إذا تغير المجتمع، وهنا يمكن أن تكون هناك جدوى من أى عمل وأدركت أن الواجب الأساسى للإنسان هو العمل لبناء الاشتراكية..

ولذلك عندما اتصل بى عصام الدين حفنى ناصف وعرفنى بحسنى العرابى وعرضا علىَّ فكرة إصدار جريدة اشتراكية سياسية أسبوعية صادف ذلك هوى فى نفسى وجعلت عيادتى بشارع محمد على بعد أجزاخانة راتب - والبيت موجود حتى الآن - دارا للجريدة، وألقيت إليها بكل ما أملك من نقود، وكذلك حسنى العرابى. أما عصام فقد سار معنا لفترة ثم توقف، كان همنا أنا وحسنى العرابى ألا نعطى لإسماعيل صدقى حجة قانونية لإغلاقها كان هدفنا أن تستمر المجلة أطول مدة ممكنة، أما عصام فقد كان متطرفا وكان رأيه أن نهاجم ونستفز إسماعيل صدقى.

وعن طريق المجلة التفت حولنا عدة نقابات، وما زلت أذكر بالخير عددا من النقابيين الشجعان مثل سيد قنديل.. وهو مكافح نقابى ممتاز كان يحمل الجريدة على كتفه ليوزعها، وشخصا آخر اسمه محمد.. لا أذكر بقية اسمه.

كنا نعتمد على توزيع الجريدة باليد وسط النقابات، وكان يأتينا العمال لتوزيع الجريدة باليد، لأن متعهد الجرائد «الفهلوى» كان يأخذ المجلات ولا يوزعها بإيعاز من البوليس السياسى، والحقيقة أن هذه الجريدة كانت مدرسة.

وأول عمل قمنا به ترجمنا العمل «المأجور ورأس المال»، أنا ترجمته وكنا نقسم العمل كالآتى حسنى عرابى يكتب الافتتاحية، وأنا أكتب مقالا صغيرا وأترجم على قدر طاقتى - ترجمت لمشاهير الاشتراكية من سان سيمون حتى ماركس. ترجمنا لمكسيم جوركى قصصا إيطالية، وقصصا لجاك لندن وأصدرنا عددا خاصا عن كارل ماركس فى صدره صورة لماركس، وكان يمدنا بالكتب الاشتراكية مجانا شخص شيوعى مجرى لا أذكر اسمه كان يعمل فى المكتبة الألمانية وكانت مكان مكتبة النهضة.

س: هل كانت لكم خلايا حزبية؟

ج: لم تكن لنا علاقة بخلايا حزبية فحسنى العرابى كان خارجا توا من السجن. واكتفينا بالعمل العلنى، وكانت الحركة النقابية يقودها فى ذلك الحين الأمير عباس حليم يساعده الانتهازى أحمد إسماعيل أخو محمد إسماعيل الذى قتل السردار، وعندما أغلقت المجلة كانت الحسنة التى قدمها عصام ناصف أنه ذهب إلى دار الكتب وأودع هناك خمس نسخ منها.

س: متى بدأت العمل الحزبى؟

ج: لم نبدأ عملا حزبيا، ولما أغلق إسماعيل صدقى المجلة، كنا فى الحقيقة أفلسنا. أنا أفلست وحسنى العرابى أفلس، حتى إننى اضطررت إلى الاقتراض لأسافر للخارج، وبعد إغلاق المجلة ظل البوليس يطارد حسنى العرابى ويستجوب كل شخص يقابله حتى اضطر إلى الهجرة من مصر، وبعد عودتى من العلاج بالخارج لم أجد حسنى العرابى. ولم يكن عندنا تنظيم، فلم أجد من أتصل به، وكنت مفلسا ومدينا فتوظفت فى شبين القناطر واستمررت فى العمل فى العيادة – دون نشاط سياسى إلى أن أصدر حسنى العرابى كتاب «٨ سنوات فى المنفى» وأنا كتبت المقدمة للكتاب معتقدا أن حسنى العرابى هو رجلنا الذى استمر كما كنا معا، وقد عاد حسنى العرابى بواسطة حسن نشأت باشا سنة ١٩٣٨ أو ١٩٣٩ لا أذكر..[١]

وبعد عودته رحبنا به وحاولنا إقامة علاقة معه، وبدأنا حركة جديدة لإصدار جرائد مستعملين ترخيص جريدة من الجرائد الخاملة، لا أذكر اسمها، وكنا كلما أصدرنا عدة أعداد أغلقت بواسطة السلطات وكانت الخطة تقريبا مثل خطة روح العصر، وحول هذه الجرائد تكون تنظيم، وكان معنا العرابى وضممنا أيضا عبدالفتاح الشرقاوى وعبدالمغنى سعيد.

عبدالمغنى سعيد والشرقاوى كانا يكوِّنان جناحا يمينيا يؤمن بالماركسية دون الفكر المادى والشرقاوى ضم الشيخ سعاد جلال.. واستمر التنظيم فى العمل.. وعبدالرحمن فضل اتصل بنا فى هذا الوقت..

س: كيف التقيتم بالحركة الجديدة ح.م.؟

ج: فى البدء استمررنا فى العمل فى التنظيم المخلخل الذى لا ينظم دراسات جديدة ولا عملا جديا..

س: هل التنظيم جمع بقايا الحزب القديم؟

ج: لا. كانت خطتنا البحث عن عناصر جديدة وظل التنظيم مخلخلا حتى هاجمت ألمانيا الاتحاد السوفيتى وزارنى حسنى العرابى وطلب منى عقد اجتماع، وكنا فى ذلك الحين نصدر جريدة (لا أذكر اسمها) وكنا نعلن على صفحات جريدتنا أننا محايدون، وفى الاجتماع طلب حسنى العرابى مؤازرة ألمانيا، وقلت له هل نحن اشتراكيون أم نازيون؟ قال إن الألمان اشتراكيون أيضا، قلت له اقرأ كتاب «كفاحى» واقرأ فيه الهجوم على الاشتراكية، والحقيقة أننى دهشت من موقف حسنى العرابى هذا واقترحت تأييد الحلفاء. وتحت ستار تأييد الحلفاء نؤيد الاتحاد السوفيتى وجمعنا المجموعة وانقسمنا، بلديات حسنى العرابى من المحلة والمناطق المجاورة لها انضموا إليه والقسم الآخر أنا وعبد الفتاح الشرقاوى والآخرون استمررنا فى العمل.. (عبدالمغنى سعيد كان مترددا).

وذات يوم عند عودتى إلى منزلى إذا بأحمد إسماعيل جالس فى مطعم يونيون ومعه عسكرى إنجليزى. وناداني - وقدمه لى، وكان اسمه سام باردل، وكان قد تزوج فتاة يهودية اسمها جورجيت على ما أذكر[٢] كانت تعمل فى مكتبة الميدان.

وقدمه لى كعضو فى الحزب الشيوعى الإنجليزى وبعد حديث طويل سألنى سام لماذا تعملون متفرقين؟ وأبلغنى أن هناك مجموعة أخرى وتعرفت بكوريل.

وابتدأنا العمل مع كورييل فى تنظيم «ح.م.»

الهوامش

(*) الدكتور عبدالفتاح القاضى.. طبيب أطفال، وقد أسهم فى النشاط منذ عام ١٩٣٠ وأسهم فى الموجة الجديدة للنشاط بعد الأربعينيات وشارك فيها مشاركة إيجابية. وهو أحد النماذج الدالة على تأثير الفكر الاشتراكى الألمانى على الحركة الماركسية فى مصر.

(١) الاسم الحقيقى للكتاب ٨٩ شهرا فى المنفى.

(٢) اسمها الحقيقى هنريت آرييه وكانت تعمل فى مكتبة الميدان التى أسسها هنرى كوريل وكانت هى وسام عضوين فى ح.م. أما سام باردل فهو فى الأصل عضو فى الحزب الشيوعى الإنجليزى وصل إلى مصر جنديا فى الجيش البريطانى أثناء الحرب العالمية الثانية. وبعد الحرب عاد إلى إنجلترا للعمل فى مكتبة المستعمرات بالحزب.